



محطات في تاريخ منطقة سور الغزلان

من العصر القديم إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية 1954

دراسة مونوغرافية

د. سعاد يمينية شبووط

جامعة تلمسان

chabbout.y.s@gmail.com

تاريخ النشر: 2018/12/30

تاريخ القبول: 2018/11/01

تاريخ الإيداع: 2018/10/10

الملخص:

محطات في تاريخ منطقة سور الغزلان من العصر القديم إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية 1954 (دراسة مونوغرافية) الملخص : تشكل الدراسات التاريخية المحلية الدقيقة (**Micro Histoire**) أهمية بالغة في مشروع بناء التاريخ الوطني العام؛ هو معروف أنه إلى غاية فترة قريبة جدا كانت المواضيع الصغيرة العينية لا تستقطب الباحثين والأكاديميين لاعتبارات عدة، لعل أبرزها هو تركيز الغالبية على كتابة التاريخ الكلي أو العام من أجل استكمال بناء المدرسة التاريخية الجزائرية، هذا بالإضافة إلى نقص المادة الخيرية المتعلقة بالدراسات الجزئية التي تشكل حاجسا كبيرا بالنسبة لأي باحث، لكن مع مرور تطور الدراسات الأكاديمية وتحسن ظروف البحث مقارنة بالماضي، كان لزاما على الباحث خوض هذا الغمار ملأ المساحات البيضاء التي تكثرت في التاريخ الجزائري، والتي من شأنها إكمال الحلقات الضائعة، من أجل إعادة صياغة مقاربات تاريخية جديدة تعتمد المصادقية العلمية بشكل أفضل وأوثق. من هنا تولدت لدينا الرغبة الملحة لخوض غمار البحث في منطقة صغيرة تسمى "سور الغزلان" التي تعود بنا إلى العهد الروماني، والتي نعتقد أنها لم تتعرض لها أي دراسة سابقة الأمر الذي دفعنا إلى ضرورة إبراز دورها التاريخي ورصد أهم الأحداث التي مرت بها عبر العصور على شكل دراسة مونوغرافية كرونولوجية ستساهم لا محالة في سد بعض النقائص مستقبلا بالنسبة للكثير من الباحثين في تاريخ الجزائر المحلي بشكل خاص والتاريخ الوطني عموما

الكلمات الدالة:

سور الغزلان، أوزي، أومال، طيروس إيثوبال، الحركة الوطنية الجزائرية

Abstract:



Stations in the history of Sur El-Ghuzlan region From old era till the outbreak of the liberation Revolution 1954 (Monographic study) The local Micro- historical studies constitute great importance in project of building national public history. As it is known, until very recently ,the small sample subjects was not attracted the researchers and Academics because of many considerations, the most prominent of them was the concentration of the majority on writing the whole history or the public For the sake of perfecting the building of Algerian historical school ,in addition to this ,the lack of news material related to partial studies which constitute an obsession for each researcher .But with the development of academic studies and the improvement of research circumstances compared to the past ,the researcher is obliged to fight in order to fulfill the white spaces which are much in the Algerian history and so to complete the missing circles for rewording new historical Approaches depended on scientific credibility with better and certainly form. From here, we have the urgent desire to go to a small area called Sur –El Ghuzlan which brings us to Romanera which we think that it is not subjected to a previous study ,this what led us to the necessity of representing its historical role and monitoring the most important events which passed through ages in a form of chronological monographic study that will inevitably contribute in bridging some gaps for many researchers of the local Algerian history particularly and the national history in general

.Key Word:

El-Ghazlan, Ozzy, Omal, Tirose Etopal, Algerian National Movement

للدراستات التاريخية المحلية الدقيقة (Micro Histoire) جزء كبير في بناء التاريخ الوطني العام؛ فما هو معروف أنه إلى غاية فترة قريبة جدا كانت المواضيع الصغيرة العينية لا تجذب الباحثين والأكاديميين لاعتبارات عدة، لعل أبرزها هو تركيز الغالبية على كتابة التاريخ الكلي أو الشامل من أجل استكمال بناء المدرسة التاريخية الجزائرية، هذا بالإضافة الى نقص المادة الخيرية المتعلقة بالدراسات الجزئية التي تشكل هاجسا كبيرا بالنسبة لأي باحث، لكن مع مرور تطور الدراسات الأكاديمية وتحسن ظروف البحث مقارنة بالماضي، كان لزاما على الباحث خوض هذا الغمار لملا المساحات البيضاء التي تكثرت في التاريخ الجزائري، والتي من شأنها اكمال الحلقات الضائعة، من أجل إعادة صياغة مقاربات تاريخية جديدة تعتمد المصادقية العلمية بشكل أفضل وأوثق.



من هنا كانت رغبتنا الملحة لخوض غمار البحث في منطقة صغيرة تسمى "سور الغزلان" التي تعود بنا إلى العهد الروماني، والتي نعتقد أنها لم تتعرض لها أي دراسة سابقة، فأردنا بذلك أن نبين دورها التاريخي ونبرز أهم الأحداث التي مرت بها عبر العصور على شكل دراسة مونوغرافية كرونولوجية ستساهم لا محالة في سد بعض النقائص مستقبلا، فيا ترى ماهي أهم المحطات التي عرفتها منطقة سور الغزلان عبر التاريخ؟ وإلى أي مدى ساهمت في صناعة الحدث؟ وبناء الشخصية والهوية الوطنية الجزائرية؟

(1) الجغرافيا والتاريخ:

تقع منطقة سور الغزلان في الجنوب الشرقي من الجزائر العاصمة، التي تبعد عنها بحوالي 120 كم كما يمكن تحديدها فلكيا بين خطي عرض 36° و 9° شمالا، وخطي طول 1° و 21° غربا⁽¹⁾، وقد عرفت سور الغزلان منذ الاحتلال الروماني لبلاد المغرب بتسمية أوزيا وذلك خلال القرن الثاني ما قبل الميلاد⁽²⁾. وباعتبار أن أوزيا (سور الغزلان) جزء من موريطانيا القيصرية فهي تقع في الطريق الرابط بين قرطاجة وشرشال القيصرية⁽³⁾ الأمر الذي جعلها تحتل موقعا استراتيجيا ومركزيا من خلال المسافة المتساوية بين مدينتين ساحليتين هامتين هما، بجاية (صالدي) في الشمال الشرقي التي ترتبط بها جغرافيا عن طريق وادي الصومام، ومدينة شرشال (أيول القيصرية) عاصمة المقاطعة في الشمال الغربي⁽⁴⁾.

وتربع على سطح جبل ديرة الذي يرتفع على مستوى سطح البحر بـ 1810 متر، بين جدولين معروفين باسم وادي لكحل، ووادي سواقي⁽⁵⁾ وفي هذا السياق يذكر الرحالة الألماني هاينرش فون مالتسان في مذكرته بأن سور الغزلان تقع فوق هضبة رتيبة تحيط بها رؤوس سلسلة الجبال المنحدرة عن جبل الذراع⁽⁶⁾. ونظرا لخصوصية المنطقة المتميزة بارتفاعها ومناخها، الجاف والبارد شتاء والحار صيفا، جعل منها منطقة تتميز بتساقط الأمطار والثلوج طيلة أشهر السنة "من نوفمبر إلى شهر ماي"⁽⁷⁾ كما تتميز خريطة سطح أوزيا القديمة بأودية وسهول كثيرة غير متواصلة (أي متقطعة) تتخللها هضاب وصخور حادة، أما الجبال فهي قليلة، تتميز بندرة الغابات، أما أراضيها فهي جد خصبة لوفرة عنصر الماء، إذ يعتبر جبل ديرة أهم مصدر للمياه، والممون الوحيد لجميع الأودية الموجودة بالمنطقة ويمكن أن نذكر منها: وادي حلاية الذي يمتد



حتى مشارف البر واقية، ووادي لكحل، ووادي حجارة، ووادي شلالة، ووادي حبان، ووادي المعمورة، ووادي القيطريني،... وغيرها من الأودية الأخرى(8).

وتحيط بجبل ديرة سلسلة من الجبال الصغيرة التي تفصل عدة منابع فمن الغرب نجد جبل معزوز، ومن الشرق جبل كسانة وجبل جيفانة، وجبل فيدانة(9). يتجلى من خلال المعطيات الطبيعية السابقة الذكر أن منطقة سور الغزلان تشكل مثلثا في إقليم ذو أهمية حيوية بالغة ببلاد المور(10)، وقد قدرت مساحة المدينة بناء على بقايا الصور القديم الذي شوهد عام 1843، حوالي 300 متر إلى 400 متر عرضا، و800 م طولاً وهو ما يجعل تقدير مساحة المدينة بحوالي 30 هكتار(11).

ومما لا شك فيه بعد الإشارة إلى الخصوصيات الجغرافية للمنطقة، عندما يتعلق الأمر بمظاهر السطح الذي يتميز بعراء الجبال بسبب قلة الأشجار، كما ذكرنا سابقا، إضافة إلى قساوة الطبيعة، كانت من الآثار السلبية، في فترة تاريخية، تتمثل في سنوات الثورة التحريرية على مردودية العمل المسلح، خصوصا عند التحضير و الانطلاقة في ليلة أول نوفمبر 1954. رغم أن المنطقة كانت نقطة وصل بين الشمال والجنوب(12). أما بالنسبة للجذور التاريخية للمنطقة، فقد شهدت أوزيا القديمة تعاقب عدة حضارات منذ فترة ما قبل التاريخ حيث أثبتت الأبحاث والنقيبات الأثرية على وجود أدوات حجرية كالصوان المنحوت، مما دل على تواجد الإنسان البدائي فيها(13)، ثم تعاقت عليها حضارات وشعوب أخرى منذ فجر التاريخ، بداية بالفينيقيين ثم الاحتلال الروماني، والفتح الإسلامي ثم مجيء العثمانيين، ونهاية بالاحتلال الفرنسي، ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى أن أوزيا، (سور الغزلان الحالية) مدينة قديمة ورد ذكرها في مذكرات الرحالة الألماني هاينرش فون مالتسان، أسست من طرف أحد الملوك الفينيقيين يدعى طيروس إيثوبال Tyrus Ithobal، خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وهي نفس الفترة التي تزامنت مع تأسيس قرطاجة تقريبا(14) ويعتقد العالم الأثري الروماني غيسينيوس بأن اسم أوزيا مشتق من كلمة "أوز" وتعني القوة، أي الحصن(15).

وقد احتلت أوزيا مكانة هامة في منطقة شمال إفريقيا، حيث كانت بمثابة همزة وصل بين الشمال والجنوب، وتجدر الإشارة إلى أن تأسيسها من طرف الفينيقيين لم يكن إلا لغرض اقتصادي فقط، فبعدما كانت بمثابة سوق لصرف منتوجاتهم وأصبحت برجا دفاعيا أثناء الاحتلال الروماني(16).



ورغم الثورات الكثيرة التي شهدتها المنطقة ضد الاحتلال الروماني، لم يذكر المؤرخون في كتاباتهم القديمة إلى ثلاث حركات هامة في التاريخ القديم للمنطقة (17). أما تسمية المدينة سور الغزلان تعود إلى مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وقد اختلفت الروايات حول الخلفية التاريخية لمدلول التسمية حيث تشير إحدهما إلى أن أصل التسمية بنسبة إلى امرأة اسمها (غزلان) وقد احتفظت المدينة بهذا الاسم حتى فترة الحكم العثماني (18). أما الرواية الأخرى تشير إلى أن أصل التسمية نسبة إلى سور الغزلان أو غزلان (مكان الغزلان) (19). أما الرواية الأخيرة فهي تشير إلى قلعة بنيت من طرف العثمانيين وسموها سور الغزلان، أو عين الغزلان (20).

لقد احتفظت المدينة بنفس التسمية - سور الغزلان - إلى غاية 15 نوفمبر 1846 وعلى اثر قرار حكومي أصدرته الإدارة الاستعمارية تم وضع حجر أساس لوسط المدينة التي سميت أومال «Aumale» (21) نسبة إلى الدوق الفرنسي أومال "duc Dumale" الذي عين حاكما عليها سنة 1843 من طرف الإدارة الاستعمارية وقد حاول خلالها الفرنسيون إقامة المدينة الجديدة على أطلال المدينة القديمة أوزيا - بمعمار روماني (22). وفي سنة 1862 انتهى الفرنسيون من بناء سور حول المدينة الجديدة بلغ طوله حوالي ثلاثة كلم، أما ارتفاعه يتراوح بين 05 و 10 أمتار، تتخلله خمس أبواب. وفي نفس الفترة تم بناء ثنتين عسكريتين بالإضافة إلى حدائق لتزيين المدينة، ومن أهم المنشآت التي بقيت إلى يومنا هذا المستشفى العسكري، الذي تم تحويله إلى مستشفى مدني بعد الاستقلال.

التركيبة الاجتماعية والإدارية.

شهدت منطقة سور الغزلان أو بالأحرى أوزيا Auzia الرومانية عبر تاريخها الطويل عدة ثورات وحروب، لذلك لم تكن المدينة في معظم الأحوال معمورة بسكانها، بحيث كانوا منتشرين على ضواحيها في شكل قبائل نذكر منها: أولاد مريم وأولاد إدريس، وأولاد فارها، وأولاد بوعر يف، ورغم الوضعية الاجتماعية الصعبة التي كانت عليها قبائل المنطقة لجأت الإدارة الفرنسية إلى زعزعة ذلك الاستقرار، حيث أنشأت ما أسمته بالبلدية الكاملة الصلاحيات لأومال Aumale التي ضمت القلعة الزرقاء، وقرية بئر جايش، وعين طاستة وعيون السبع، وقد بلغ عدد سكان البلدية 6537 ساكن من بينهم 3834 شخص، و2262 من الجزائريين، و210 من الكولون الأجانب و312 فرنسيا من المزارعين الكولون الذين استقروا



بالمنطقة مع بداية الحركة الاستيطانية. أما سكان البلدية المختلطة commune mixte، فقد بلغ عددهم 43656 شخص من بينهم، 42615 من الجزائريين(23).

ومن خلال الكم السكاني الهائل نلاحظ ارتفاع عدد الجزائريين مقارنة بعدد السكان الفرنسيين بالمنطقة، الأمر الذي لم يرضي الإدارة الفرنسية الاستعمارية، حيث لجأت إلى ضرب ذلك التجمع القبلي المتجانس بموجب أمر ملكي أصدره الدوق أومال في 21 أوت 1846، يقضي بإنشاء تقسيمات أو تنظيمات إدارية بغرض تفتيت هذه القبائل إلى عروش، وعلى هذا الأساس قسمت أومال إلى ست مناطق تخضع كل واحدة منها لنفوذ قايد وثمان وعشرون عرشا كانت على النحو التالي: ديرة العليا تتكون من ثمانية عروش، وديرة السفلى تتكون من خمسة عروش، وأدوراس، ثلاثة عروش، وكسانة خمسة عروش، وأولاد مختار الشراقة خمسة عروش، وأولاد دية عرشين وعلى رأس التنظيم أغا من الدرجة الثانية، سي أحمد باي بومرزاق (أخ المقراني) وخليفته لكحل فلوصيف. وفي سنة 1878 أصبح هذا التنظيم يحتوي على سبعة عروش من الشرق إلى الغرب، نجد أولاد عبد الله، وأولاد سيدي عيسى، وأولاد سلامة، وأولاد علي بن داوود وأولاد أد وارس الشراقة، وأولاد ادوارس الغرابية.

أما البلدية المختلطة لأومال فقد قسمت إلى ستة عشر دوارا(24). وبهذه الطريقة أصبحت الخريطة الإدارية تشكل فسيفساء من القبائل والعروش، وقد استطاعت السياسة الفرنسية رسم مستقبل سوسيولوجي للمنطقة، مليء بالتناقضات والصراعات القبلية، وتنامي النزعة العروشية، تحسبا لأي مقاومة و بالفعل انعكس أثر هذا التقسيم سلبا على عملية التحضير للثورة والالتحاق بها بعد انطلاقها ليلة نوفمبر 1954. أما فيما يتعلق بالحركة الاستيطانية في منطقة أومال تذكر المصادر أنها تنامت بشكل ملفت للانتباه خصوصا مع مطلع الخمسينات بسبب حركة الهجرة نحو الجزائر فالبلدية المختلطة لأومال وحدها التحق بها حوالي 1000 مهاجر أوروبي لممارسة مهنة الفلاحة وأغلبهم كانوا من اللذين جاؤوا لأداء الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، وانتهى بهم المطاف إلى الاستقرار بالمنطقة(3).

ومن خلال ما سبق ذكره نستطيع القول أن منطقة أومال كانت مدينة بسيطة عبارة عن موقع تعرض للحركة الاستيطانية نظرا لما تملكه من خصائص طبيعية أهلها لتكون من أهم المناطق الزراعية وعرفت فيما بعد تحولا عندما أصبحت منطقة إدارية باستقرار الكولون أو المستوطنين الذين عملوا على بناء المدينة بجميع منشأتها مع بداية فترة حكم الإمبراطور نابليون الثالث.



الوضع الاقتصادي:

تم تصنيف أوزيا القديمة أثناء فترة الحكم الروماني لبلاد المغرب ضمن المناطق الزراعية الهامة، إذ شكلت إحدى أهم المدن الممونة للدولة الرومانية بالقمح(25). وذلك لخصائصها الطبيعية التي ساعدت على إنعاش النشاط الزراعي وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنه تم إنشاء سوق أسبوعية كل خميس خاص بسكان البربر لتسويق منتجات المنطقة حيث يتم فيها تبادل الحبوب المنتجة (المحلية) بزييت الزيتون القادم من منطقة القبائل و اللحوم الآتية من الصحراء(26). وقد احتفظت منطقة أومال في الفترة الاستعمارية بنفس النشاط الاقتصادي ذو الطابع الزراعي، خصوصا وأن معظم المستوطنين الكولون من الفلاحين استولوا على معظم الأراضي الزراعية، بعد طرد أصحابها الجزائريين إلى المناطق الجبلية حيث تنعدم مصادر العيش والاستقرار، ثم قاموا بإنشاء مزارع لإنتاج الكروم وأشجار اللوز، بالإضافة إلى القمح والشعير وهو ما ساعد على الاهتمام بتربية البقر والماعز(27).

أما عن الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للسكان الجزائريين من أبناء المنطقة، تشير المصادر إلى أنهم سَخَّروا للعمل في المزارع وإنشاء الطرقات، لكن الكثير منهم فضل الهجرة إلى المتيجة، أثناء فصول القطف وانتهى بهم المطاف في أغلب الأحيان إلى الاستقرار هناك بعد نهاية كل موسم(28). لقد أثرت الوضعية الاقتصادية السيئة التي عاشها سكان المنطقة على الوضع الاجتماعي والصحي بشكل عام، وظهر ذلك جليا من خلال الإحصائيات الطبية لسنة 1850 التي جاء فيها أن: 209 مريضا من السكان الجزائريين القاطنين بالمنطقة حضروا إلى المكتب العربي لتلقي العلاج، أغلبهم من عرش أولاد إدريس الذين بلغ عددهم 123 مريضا، و52 مريضا من عرش بني عمر وبني يدو، وأولاد سيدي عمر وأولاد فارهة، ولم ينخفض عدد المرضى حتى سنة 1865(29).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الإحصائيات لم تكن إلا لغرض إبداء حسن نية الإدارة الاستعمارية ومن ورائها غلاة الكولون بتقديم الخدمات الصحية للجزائريين دون الاهتمام بأسباب تلك الحالة المزرية الناتجة عن ما يعرف بالثالوث الأسود الذي رافق الجزائريين طيلة قرن واثنا وثلاثون سنة. وبعيدا عن تلك الوضعية المأساوية التي عاشها الجزائريون تفتنت الإدارة الفرنسية إلى ما كان يكتنزه باطن أرض منطقة أومال - سور الغزلان الحالية - من مصادر طاقوية، والمقصود بذلك مادة البترول الذي تم اكتشافه بمنطقة القطيري سنة 1957(30).



ومنذ هذا التاريخ سخرت الإدارة الاستعمارية كل إمكانياتها لتوفير الظروف الملائمة من أجل استغلال هذا المصدر الطاقوي وعلى هذا الأساس حظيت المنطقة بخطط للسكة الحديد يربطها بالعاصمة إضافة إلى شبكة أخرى تربطها بمدن الشلف، وهران والمدينة والأغواط وبسكرة والبويرة وقسنطينة، ورغم كل هذه الإمكانيات إلا أنها لم تكن في مستوى تطلعات الإدارة الفرنسية لتحقيق استغلال كامل لهذه المادة الطاقوية(31). نشاط الحركة الوطنية في منطقة سور الغزلان: لا تذكر المصادر التاريخية التي تمكنت من الإطلاع عليها، سواء المكتوب منها أو الشفوي، الشيء الكثير عن النشاط السياسي بمنطقة سور الغزلان في الربع الأول من القرن العشرين باستثناء إشارات عابرة عن موقف سكان المنطقة من فكرة التجنيد الإجباري سنة 1912، كبقية الوطنيين من أبناء الجزائر.

وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى تلك المظاهرات التي قام بها سكان أوامال - سور الغزلان - في وسط البلدية - مدينة أوامال - وذلك أثناء مجريات عملية الإحصاء الخاصة بالتجنيد(32) ورغم إصرار الإدارة الفرنسية على سير العملية إلا أن السكان رفضوا قرار الالتحاق بصفوف الجيش الفرنسي في كل من البلديتين المختلطين أوامال ومديد(33). باستثناء هذه الإشارة لا تذكر الكتابات التاريخية أية حركة أو نشاط سياسي حتى بداية الثلاثينات مع ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي هذا الصدد يذكر المجاهد فرحات زعنون(34)، بأن هناك مجموعة قليلة (35) ممن دخلوا معترك الحياة السياسية بانخراطهم في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مع مطلع سنة 1933، ولم يتجاوز نشاطهم في بداية الأمر سوى حضور تلك الدروس التي كان يلقيها الشيخ الطيب العقبي بمقر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالعاصمة. ويضيف فرحات زعنون في شهادته بأن هذه المجموعة حاولت استمالة سكان المنطقة لكسب بعض الأنصار، والمناضلين، تمهيدا لإنشاء مدرسة حرة، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل ورغم ذلك استمرت جهود الوطنيين من أبناء المنطقة، في مرحلة الفراغ السياسي الذي عاشته الجزائر بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1939 إلى غاية سنة 1943، وهي نفس السنة التي أعتقل فيها المناضل محمد خيضر(36) من طرف السلطات الاستعمارية التي وضعت تحت الإقامة الجبرية بسور الغزلان، في حمام لونيس بوسط المدينة(37).

ويذكر المناضل حمودي محمد(38)، أن بوادر إنشاء أول خلية سرية لحزب الشعب الجزائري كانت من طرف المناضل محمد خيضر سنة 1943 وقد ضمت هذه الخلية مجموعة



من النشاط المناضلين في حزب الشعب المنحل، نذكر منهم حمودي محمد (المتحدث)، وزقيش عبد الرحمن، وبوشارب بلقاسم، وضريان محمد، وصاحد عبد الله وقد اهتمت هذه المجموعة بعملية تعبئة الشعب وتوعيته بضرورة الاستعداد لمواجهة العدو(39)، ويؤكد المناضل فرحات زعنون أن مهمة هؤلاء الشباب كانت صعبة جدا بسبب الرقابة المشددة من طرف المصالح الفرنسية، لذلك اكتفت المجموعة بعددها القليل تجنباً لأيّة محاولة اكتشاف وتفكيك خلايا الحزب النشيطة(40).

وبقيت عناصر المجموعة السابقة على اتصال دائم بالمناضل محمد خيضر المقيم بالعاصمة آنذاك عن طريق المناضل سي صالح(41) من منطقة تيزي وزو) حيث وصلت أخبار إلى مناضلي المجموعة، مفادها أن هناك أمر يحضر له مع بداية ماي 1945، ولم يكن على عناصر التنظيم سوى الاستعداد لذلك، وفي هذا الصدد يضيف المناضل حمودي محمد بأنه تم ضبط خطة محكمة للقيام بهجوم على المدينة في الأسبوع الأول لشهر ماي وذلك من خلال أهم المراكز العسكرية والإدارية الحساسة(42).

ومن أجل توحيد الجهود، وتجاوبا مع أحداث سطيف وقلمة وخراطة، قرّر نشطاء ومناضلو الخلايا السرية في منطقة سور الغزلان، تنفيذ خطتهم التي لم يكتب لها النجاح، إذ انتهت بالفشل بسبب خطأ في إعطاء إشارة انطلاق الهجمات المقررة والمبرمجة في نفس الوقت وفي هذا الصدد يذكر المناضل فرحات زعنون أن الخطأ في إعطاء إشارة الانطلاقة، قد صدر من المناضل بوشارب، وهو ما أدى إلى فشل العملية وإلقاء القبض عليه وعلى حمودي محمد، وقويدري محمد، الذين نقلوا إلى العاصمة لمحاكمتهم في يوم 19 جويلية 1945، ولم يبق بالمنطقة - سور الغزلان - غير دحو، وبكاي وفرحات زعنون وجلال الذين واصلوا بدورهم مسيرة النضال السياسي في تعبئة الشعب وتوعيته خصوصا عقب مجازر 8 ماي 1945(43).

عرفت السياسة الاستعمارية عقب مجازر 08 ماي 1945 بعض الإنفتاح في مستعمراتها، ولم تكن الجزائر بمعزل عن تلك المستجدات، فقد تمخض عنها إطلاق سراح المعتقلين السياسيين والإفراج عن الزعماء، وعودتهم من مناهم، والسماح لهم بتشكيل جمعيات سياسية وأحزاب، ونتج عن ذلك عملية إعادة تشكيل للحركة الوطنية ببروز أحزاب سياسية أهمها: الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA) بزعامة فرحات عباس(44). كما أنشأ الزعيم مصالي الحاج في سنة 1946، حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD)، التي لم تكن في حقيقة الأمر سوى استمرارا سياسيا لنضال حزب الشعب الجزائري.



غير أن المنعرج الحاسم لفترة ما بعد الحرب بالنسبة للحركة - حركة الانتصار- لا يكمن في اغتنامها فرصة لإعادة البروز وإنما يكمن في دخولها معتركاً سياسياً جديداً يمكن أن نحدده في قضيتين الأولى / تجارب انتخابية ابتداء من سنة 1946 إلى سنة 1951 حققت من خلالها حركة الانتصار - حزب الشعب سابقاً اكتساحاً عريضاً للساحة الشعبية، لكنها وقعت في النهاية ضحية تلاعب مكشوف، وتزوير فاضح للنتائج الانتخابية من قبل الإدارة الاستعمارية(45). ودون الاستطرد في هذا الموضوع، الذي أصبح في متناول رواد الكتب التاريخية بفضل المساهمات القيمة للعديد من المؤرخين الجزائريين ارتأيت إلقاء الضوء على نشاط الحركة الوطنية في منطقة سور الغزلان، عندما يتعلق الأمر بالتجربة الانتخابية التي انتهت بالفشل بسبب التزوير على غرار المناطق الأخرى من الوطن، لكن من جهة أخرى شكلت هذه التجربة منعطفاً حاسماً في تاريخ المنطقة بانفجار الأوضاع التي كانت إرهاباً لأولى الأحداث التي حملت بذور فكرة العمل المسلح الراديكالي (46).

وتعود جذور هذه الأحداث إلى الزيارة التي قام بها زعيم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري فرحات عباس، إلى سور الغزلان سنة 1946، وإلقاءه لمحاضرة على الحاضرين من سكان المنطقة بقاعة الحفلات، ركز فيها على سياسة وتوجه الحزب في ظل المعطيات السياسية التي أفرزتها مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي هذا السياق أشار زعيم الحزب قائلاً " ... إن هدف سياسة حزبنا هو نفس هدف سياسة حزب الزعيم مصالي الحاج. أما نقطة الاختلاف الوحيدة بيني وبينه تتمثل في الوسائل والسبل المنتهجة في الكفاح السياسي، إذ نرى نحن - أنه من الواجب صعود السلم بالتدرج للوصول إلى الثمرة - أما مصالي فيرى عكس ذلك" (47). تركت زيارة زعيم الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري إلى مدينة سور الغزلان أثراً عميقاً في نفوس السكان الذين تفتنوا إلى ضرورة المشاركة في الانتخابات، وعيا بمتطلبات المرحلة وذلك من أجل دفع الحركة الوطنية الجزائرية بعد الركود السياسي الذي شهدته طيلة الحرب العالمية الثانية (48). وقد تجسدت أولى مظاهر هذا الوعي أثناء الانتخابات البلدية سنة 1948، عندما ترشح السيد "بوكردنة" لصالح قائمة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وتمكن هذا الأخير من تعبئة واستمالة الكثير من سكان أهل منطقة سور الغزلان الذين توجهوا بكثرة إلى صناديق الاقتراع (49) من أجل التصويت لصالح مرشح الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA (50).



غير أن مجريات الانتخابات انتهت بأحداث مؤسفة عندما منع أنصار مرشح الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري من الذهاب للتصويت، عندما اعترضهم البشاغا إبراهيمي(51) الأمر الذي أثار حفيظة الناخبين من سكان للمنطقة، الذين ثاروا بقيادة أحمد سلام وهددوا بحرق المكاتب في حالة منعهم من الانتخاب. ومما زاد الأمر تعقيدا، حضور حاكم بلدية "أومال المختلطة" جاكو « jacquot » مع حرسه المتنقل وأحد أعوانهم يدعى بوضياف موسى، الذي لم يتردد رفقة الحرس في إطلاق النار على أنصار الاتحاد الديمقراطي، الذين ثاروا، وهددوا بحرق المكاتب، مما أدى إلى مقتل سبعة أشخاص، وجرح 35 شخصا نقلوا إلى المستشفى بالعاصمة(52). وألقي القبض على مجموعة أخرى من المناضلين السابقين في حزب الشعب نذكر منهم، عمر زقيش، ومنهوبي لخضر، وقويدري محمد وباعتقال هؤلاء المناضلين، ممن بقوا من التنظيم السري السابق الذي أنشأه المناضل محمد خيضر، تمكنت الإدارة الفرنسية من كشف تنظيم منطقة سور الغزلان والقضاء على كل نشاط سياسي لأحزاب الحركة الوطنية الجزائرية إلى ما بعد انطلاق العمل المسلح سنة 1954(53).

وبالنظر إلى النشاط السياسي العام الذي عرفته الحركة الوطنية بمختلف تشكيلاتها بين سنوات (1946 – 1953)، يمكن القول أن البلدية المختلطة لأومال، أو منطقة سور الغزلان، لم تكن ساحة مهيئة لأي نشاط سياسي باستثناء، ماسبق ذكره حول بعث النشاط الذي أرسى قواعده المناضل محمد خيضر مع مطلع سنة 1943، ويمكن الإشارة عند هذا المقام إلى أن أومال لم تكن سوى بلدية مختلطة بها ستة عشر قائدا(54)، ومحمية بها أكبر ثكنة عسكرية، وتمثل مركزا إداريا هاما يشرف على أكبر منطقة بها نسبة كبيرة من المستوطنين و الكولون، الأمر الذي جعل منها منطقة "هادئة" إلى ما بعد قيام الثورة التحريرية.

-خاتمة:

نستنتج من خلال ما سبق أن لمنطقة سور الغزلان حضورا تاريخيا قويا عبر العصور بالرغم من صغر مساحتها، ولذلك فهي مجال خصب للاشتغال المعرفي تستطيع من خلالها معاهد علم الآثار أن تجري حفريات أركيولوجية فيها من شأنها أن تعطينا خبايا جديدة عن تواجد الفينيقيين والرومان بالمنطقة والشمال الافريقي عموما، كما يمكن لهذا البحث أن يكون مفتاحا لبحوث أخرى تتعلق على سبيل المثال لا الحصر بالنشاط الاستيطاني في المنطقة أو تاريخ الحقب الأخرى التي ذكرناها والتي على صعوبة البحث فيها تحتاج إلى عناية واهتمام أكثر



من طرف أبنائها بجمع الرصيد الوثائقي وجرد التراث المادي واللامادي المتناثر هنا وهناك من أجل المساهمة في كتابة التاريخ الوطني.

الهوامش:

- (1) Atlas mondial Microsoft , Encarta , CD Rom, édition, 1999 .
- (2) BER BRUGGER, la région d'aumale recueil de Constantine, 1901, p 135.
- (3) تقع أوزيا حسب الرحالة الألماني هاينرش فون مالتسان ، استنادا إلى خريطة الطرق على مسافة 123 معلما من شرشال، وهذه المسافة تطابق 172 كلم تفصل سور الغزلان عن شرشال، أنظر، هاينرش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ، ترجمة أبو العيد دودو، ج 2 (ش ، و ، ن ، ت) الجزائر، 1979 ، ص 188 .
- (4) محمد البشير شنيقي ، موريطانيا القيصرية ن دراسة حول الليماس ومقاومة المور مجلد 1 ، أطروحة دكتوراه ، معهد الأناثار جامعة الجزائر، 1983، ص 180.
- (5) Robert Archille, Auzia et ses environs, revue Africaine, n40, 1896, p 293, 294.
- (6) هاينرش فون مالتسان ، مصدر سابق ، ص 185
- (7) J. Parres, étude historique Sur laville d'aumale Depuis SA formation jusqu'à nos jours, Aumale, 1912, p 48.
- (8) j.parres.op.cit.p50.
- (9) ibid, P51 .
- (10) كلمة إغريقية الأصل تعني بلاد الغرب أو المغرب وهي تمتد من ليبيا إلى المحيط الأطلسي.
- (11) محمد البشير شنيقي ، مرجع سابق ، المجلد 2 ، ص 413 ، 414 .
- (12) عانت المنطقة كثيرا من الحركة المصالية التي اعتبرت من أكبر الحركات المناوئة للثورة ، الأمر الذي انعكس سلبا على التجاوب مع الثورة والالتحاق بها من طرف سكان المنطقة ، ونشير إلى إن هذا الموضوع يعتبر من أهم المواضيع الشائكة في فترة الثورة الحربية ، نتناوله بشيء من التفصيل في الفصل الأول.
- (13) Stéphane Gsell. Atlas Archéologique de l'Algérie , P 08.
- (14) هاينرش فون مالتسان، مصدر سابق، ص 188 ، أنظر كذلك محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، المجلد الأول، ص 180.
- (15) هاينرش فون مالتسان ، مصدر سابق ، ص 189 .
- (16) e.Cat, Essai sur la province Romaine de la mauritanie césarienne, P 178.
- (17) من أهمها تلك التي تزعمها الثائر تاكفاريناس أثناء حكم تيباز Tebere وقد دامت ثماني سنوات بعد أن قتل على يد القنصل دولابلا سنة 24م، وهناك حركة تمردية أخرى قادها فراكسن Fraxen الذي قتل على يد قرقيليوس Gargilius سنة 260 م والآخر تزعمها فيرموس Firmus في القرن الرابع ميلادي أثناء حكم فالونتين VALONTINIEN. أنظر: J. Parres, OP CIT pp 5 – 20.



⁽¹⁸⁾ حسب الرواية الشعبية المتداولة بين سكان منطقة سور الغزلان،

⁽¹⁹⁾ J. Parres, OP CIT, p 22

⁽²⁰⁾ هاينرش فون مالتسان، مصدر سابق، ص 186.

⁽²¹⁾ J. Parres, OP CIT, p23.

⁽²²⁾ André Berthier, L'Algérie est son passe, ed. A et J Picard., Paris, 1951, P 68

⁽²³⁾ J. PaRRes, OP. CIT, P, 52.

⁽²⁴⁾ J. PaRRes, OP. CIT, P, 52

⁽²⁵⁾ André B erthier.OPCIT, P68

⁽²⁶⁾ Jean Des pois- René Raynal, Géographie de l'Afrique du nord Ouest, Payot, Paris, 1967, P 155

⁽²⁷⁾ Jean Des pois- René Raynal.Op Cit , p154.

⁽²⁸⁾ IBID, P154

⁽²⁹⁾ Jacque Freneau, les Bureaux Arabes dans l'Algérie dans la conquête, ED . Denoel, Paris, 1993, P221.

⁽³⁰⁾ Jean des pois, René Raynal, OP CIT, P, 154

⁽³¹⁾ IBID, P 155.

⁽³²⁾ Gilbert Meynier , l'Algérie révélée , librairie Droz , Genève , 1981, p 9

⁽³³⁾ IBID , P98

⁽³⁴⁾ زعنون فرحات بن عيسى، من مواليد سنة 1913 في المعمورة، بدائرة سور الغزلان تلقى تعليمه الأول في مدرسة فرنسية، أين تحصل على الشهادة الابتدائية ثم درس سنتين فقط في المرحلة الثانوية، دخل معترك الحياة السياسية مع مطلع الثلاثينات كمناضل في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفي سنة 1944 التحق بالوظيفة في جهاز العدالة التابع للإدارة الفرنسية كعون إداري إلى أن تم القبض عليه من طرف السلطات الفرنسية سنة 1956، لاشتباها في انتمائه إلى جبهة التحرير الوطني، وبعد الاستقلال سنة 1962، اشتغل بمهنة الفلاحة إلى أن أحيل على التقاعد. وللإشارة أن هذه المعلومات الخاصة بالمناضل فرحات زعنون، قد استقيتها منه شخصيا، ونظرا لكبر سنه تعدّ رأيي الحصول منه على معلومات تاريخية مضبوطة ودقيقة تخص مسيرته النضالية.

⁽³⁵⁾ وقد ضمت هذه المجموعة ، كل من (جلال الحاج النذير، وجعيد مزهود، وعبد الرحمن زقيش وحمودي محمد).

⁽³⁶⁾ من مواليد 1912/03/13 بالعاصمة ،انخرط في صفوف نجم شمال إفريقيا ENA، ثم أصبح عضوا فاعلا في حزب الشعب الجزائري سنة 1937 اعتقلته السلطات الاستعمارية سنة 1942 وسجن في سور الغزلان ثم نقل إلى سجن الحراش بالعاصمة، انتخب نائبا عن العاصمة، ثم ممثلا عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية في المجلس الفرنسي، بعد اكتشاف المنظمة الخاصة—OS سنة 1950 اتجه نحو القاهرة في 1951/06/5، يعتبر



من أبرز القادة الذين شكلوا نواة الوفد الخارجي، اعتقل مع المناضل احمد بن بلة اثر عملية القرصنة الجوية سنة 1956، عين عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية – CNRA (1956-1962)، ثم وزيرا للدولة في صيف 1962، بعد خلاف حول مهام الدولة و الحزب ودور المؤسسة العسكرية استقال ثم اعتقل وبعد الإفراج عنه غادر إلى المغرب ثم إلى فرنسا وفي 1962 توجه إلى اسبانيا أين اغتيل في ظروف غامضة سنة 1967 ؛ للمزيد من التفاصيل، أنظر: الزويير بوشلاغم، المجاهد محمد خيضر، مجلة أول نوفمبر، عدد 145، 1991، ص43، 44؛ وأيضا:

BEN JAMIN STORA, DICTIONNAIRE BIOGRAPHIQUE DE MILITANTS NATIONALISTES ALGERIENS (1954-1962), LHARMATTAN, PARIS, 1985, p 288.

⁽³⁷⁾ مقابلة شخصية ، في منزل المجاهد بلقاسمي المدني الكائن بدائرة سور الغزلان في شهر أوت 2000م.

⁽³⁸⁾ حمودي محمد من مواليد 24 ديسمبر 1924 بسور الغزلان، تلقى تعليمه الأول في مدرسة فرنسية (بين سنوات 1932 – 1940) أين تحصل على الشهادة الابتدائية ثم درس في ثانوية بوفاريك (EPS) . دخل معترك الحياة السياسية كمناضل في حزب الشعب المنحل وكان أبرز العناصر التي شكلت خلاياه السرية سنة 1943، و في نفس الوقت عمل كموظف في الإدارة الفرنسية في البلدية المختلطة في سور الغزلان إلى غاية 1956 أين تم توقيفه من طرف المصالح الفرنسية، و عندما أطلق صراحه التحق بالثورة عند انطلاقها في سور الغزلان سنة 1956 وتم توقيفه مرة أخرى وسجن حتى سنة 1960 ليعود مجددا إلى النشاط الثوري في المنطقة، لقد استقيت هذه المعلومات من طرف المعني بالأمر ونظرا لكبر سنه، و ضعف ذاكرته، لم أتمكن من ضبط تعريف شخصيته بشكل دقيق.

⁽³⁹⁾ مقابلة شخصية معه في قسمة المجاهدين بدائرة سور الغزلان، شهر أوت 2000.

⁽⁴⁰⁾ شهادة المجاهد فرحات زعنون، مقابلة شخصية سابقة الذكر.

⁽⁴¹⁾ ليس هو سي صالح الذي ارتبطت شخصيته بقاء الاليزي 1960/06/10.

⁽⁴²⁾ مقابلة شخصية معه في قسمة المجاهدين بدائرة سور الغزلان. شهر أوت 2000 م

⁽⁴³⁾ شهادة المجاهد فرحات زعنون أثناء مقابلة شخصية معه بمنزل المجاهد بلقاسمي المدني، الساكن بدائرة سور الغزلان، أوت 2000 .

⁽⁴⁴⁾ عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1936 - 1945)، (د ط)، ج 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص282، 283.

⁽⁴⁵⁾ Ben Youssef ben khedda, les origines du 1er Nov 1954, 2eme édition , CN.E.R.M.N.R du 1er Nov 1954, Alger, 1999, (p109-112.



⁽⁴⁶⁾ شهادة المجاهد حمودي محمد، أثناء مقابلة شخصية معه في منزل المجاهد بلقا سم المدني، سور الغزلان، شهر أوت 2000.

⁽⁴⁷⁾ شهادة المجاهد حمودي محمد في نفس المقابلة الشخصية؛ تشير الكتابات التاريخية خاصة المعاصرة بتلك الفترة الى الزيارة التي قام بها مصالي الحاج الى المدن القريبة من سور الغزلان مثل قصر الشلالة و قصر البخاري ومليانة ولا تشير صراحة الى زيارته الى مدينة سور الغزلان . انظر محمد بن ابراهيم ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، (1945-1954) (د س ن) ، الجزء الثالث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 ، ص 331.

⁽⁴⁸⁾ شهادة المجاهد فرحات زعنون أثناء مقابلة شخصية سبق ذكرها .

⁽⁴⁹⁾ ومما يلاحظ على هذه الانتخابات التي شهدتها منطقة سور الغزلان سنة 1948 ، أن المكاتب الانتخابية بها قد تركزت في الدشمية ، التي كانت تشمل آنذاك على ثلاثة دواوير الأكثر تعدادا للسكان : وهي " بوقعودن، أولاد بوعريف ، أولاد قارمة " .

⁽⁵⁰⁾ شهادة المجاهد حمودي محمد في مقابلة شخصية سبق ذكرها.

⁽⁵¹⁾ يعتبر محمد الأخضر الإبراهيمي وزير الخارجية الأسبق و المبعوث الاممي في أفغانستان و العراق من أفراد هذه العائلة.

⁽⁵²⁾ شهادة المجاهد بلقاسم المدني أثناء مقابلة شخصية معه في مقر منزله بسور الغزلان في شهر أوت 2000، و يدعمه في شهادته المجاهد حمودي محمد في نفس المقابلة السابقة الذكر.

⁽⁵³⁾ شهادة المجاهد حمودي محمد في المقابلة نفسها .

⁽⁵⁴⁾ أوقايد (بالعامية) وهو حاكم إداري يخدم مصلحة الإدارة الاستعمارية، و بتعيين منها .